خلال الأسبوع الماضي كان هنالك عدة حالات وفاة من أشخاص نعرفهم

جعلتني أتفكر ماذا لو أن الإنسان كان أحد هؤلاء ؟

عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرت به جنازة فقال من الميت؟ قالوا : فلان فالتفت عمر لنفسه قائلا : اليوم مات فلان وغدا يموت فلان وبعد غد يقول الناس :

مات عمر !!!

وبالفعل جاء اليوم الذي مات فيه عمر ، وماتت فيه أجيال وأجيال بعد عمر.

لكن أبرز حالة وفاة هي حالة شاب مسلم جعلتني أبحث طويلا وراء قصته لأقصها عليكم لأن فيها جانب كبير من العظة والعبرة إنه الشاب " علي بنات ". وهو ملياردير مسلم من استراليا يبلغ من العمر 33 سنة.

ما هي قصة " علي بنات " ؟

في عام 2015 أخبره الأطباء أنه مصاب بسرطان من الدرجة الرابعة وأن حياته لن تتجاوز سبعة أشهر على قيد الحياة، كانت هذه الرسالة سببا لأن تنقلب حياته رأسا على عقب ، قرأ الرسالة من الله قراءة صحيحة، فتحول من حياة البذخ والإسراف إلى حياة أهل الإنفاق والكرم وأعد العدة جيدا طوال هذه الأعوام والشهور التي تمر مرورا سريعا عليه، أعد العدة للقاء الله عز وجل ، وله عدة مقاطع فيديو منتشرة على الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي أذكر لكم مقتطفات منها.

تقابل معه أحد الإخوة في أول علمه بخبر مرضه ودخل إلى غرفته ما شاء الله مليئة بالملابس، والحقائب، والأحذية الرياضية، والساعات، والنظارات، والقبعات، والأغراض الأخرى التي أعدت خصيصا له من قِبل أشهر بيوت الأزياء العالمية المقدر كل منها بآلاف الدولارات.

سوار من الماس قيمته 70.000 دولار، أمام منزله الأنيق في استراليا يصطف أسطول من السيارات المبهرة على رأسها واحدة تعد أقوى وأسرع سيارة في العالم "سبايدر فيراري " حيث تبلغ قيمتها وحدها 600,000 دولار.

سبحان الله ممتلكات وثروات كبيرة وضخمة، لما علم علي بهذا الأمر حول حياته لإرضاء الله سبحانه وتعالى واحتقر كل شيء يملكه وحوله لطاعة الله سبحانه وتعالى ، وبالفعل تبرع بكل ممتلكاته بمختلف أشكالها وألوانها وأنشأ

المؤسسة الخيرية الموجهة لخدمة فقراء المسلمين والمعروفة باسم

"Muslims around the world "MATW

أو "المسلمون حول العالم ".

وانطلق رحمة الله عليه إلى عمق أفريقيا فقامت من خلال المؤسسة الخيرية ببناء المنازل والمساجد والمدارس وآبار المياه والمراكز الطبية وبيوت تأوي الأرامل والأيتام؛ كما قام ببناء أول مقبرة للمسلمين في توجو بالإضافة إلى الإمدادات الطبية والغذائية.

ولم يدخر وسعا في أن يفعل كل شيء يسره الله له بأمواله التي سارت بالنسبة له لا قيمة لها.

كان يصور لحظات السعادة وهو بين الأطفال والفقراء وهو يفتتح مشروعا تلو المشروع كان عمله رغم مرضه دؤوبا عجيبا في هذه السنوات التي أعقبت معرفته بمرض السرطان.

قال : إن السبب الرئيسي لهذا الأمر أنه بعد علمه بالمرض ذهب يزور أحد أصدقائه كان قد توفي زاره في المقبرة فلما رأى القبر وحالة صديقه قال: لن يتبعني شيء في هذا المكان إلا مالي ـ وطبعا يقصد العمل الصالح – وهو يملك المال فقلت إذن لن أبقي سنتا واحدا أملكه .

وسلط ماله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم على هلكته في الحق.

وكان إنفاقه إنفاق من يرى الدنيا على حقيقتها حتى أن المحاور سأله :

الآن بعد أن وصلت إلى ما وصلت إليه من المرض ومعرفة الأمر بعدما علمت حقيقة الدنيا، سيارتك الفارهة كما تساوي؟

فقال: لا تساوي في قلبي قيمة نعل حمَّام، وإن ابتسامة طفل فقير أفضل عندي من هذه السيارة.

والله هذه هي حقيقة الدنيا يا إخوة لا تساوي نعل حمَّام!!

ثم يقول: إن اللحظات التي قضاها في إفريقيا مع فقراء المسلمين هي الأسعد في حياته على الإطلاق، سعادة لا يمكن شراؤها بالمال، ولا يمكن أن تعوضها وسائل الرفاهية الباهظة الثمن.

ويقول " على ": "الحمد لله.. رزقني الله بمرض السرطان الذي كان بمثابة الهدية، التي منحتني الفرصة لأتغير إلى الأفضل، عندما علمت بالأمر شعرت برغبة شديدة في أن أتخلص من كل شيء أمتلكه، وأن أقترب من الله أكثر، وأصبح أكثر التزاما تجاه ديني، وأن أرحل من هذه الدنيا خاويًا على أن أترك أثرًا طيبًا وأعمالًا صالحة تصبح هي ثروتي الحقيقة في الآخرة"..

تحول " علي " من أكبر تجار الدنيا، إلى التجارة مع الله، قرر أن يتبرع بكل ماله حتى ملابسه تبرع بها.

سبحان الله في الشهور الأخيرة اشتد به المرض فسجل مقطعا قبيل وفاته وأوصى ألا يذاع إلا بعد وفاته، فكان في هذا المقطع يقول:

استشعروا نعمة الله عليكم ، أن تستيقظ من نومك وأنت سليم معافى، هذه النعمة حرم منها الكثير ....

يا إخواني الأموال التي يتنافس ويتصارع عليه الناس ، بل ويتقاتلون عليها لا تساوي قيمة نعمة أن تذهب للحمام وحدك ، هذه نعمة والله كثير منا لا ينتبه إليها ، هذه نعمة لا تساوي كنوز الدنيا ، أن يسترك الله وأن ييسر لك هذا الأمر الحقير ، الذي ربما لا تلتفت إليه حتى الواحد فينا لو أراد أن يذهب للحمام يقوم بالتعريض إنه ذاهب للحمام حتى لا يؤذي سمع الناس إنه ذاهب للحمام .

فيقول : استشعروا نعمة من النعم أن تستيقظ من نومك معافى وأن تذهب للحمام وحدك ....

حرم علي من هذه النعمة في آخر حياته سبحان الله قلت صدق رسول الله " (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بحذافيرها)

ماذا نريد من الدنا أكثر من ذلك ؟

عافية في بدنك ، الحمد لله تأكل ، وتشرب ، وتسعى ، وتتحرك تقضي حاجاتك بنفسك، لا تحتاج لمعين ولا مساعد هذه نعم والله عظيمة.

ولذلك لما قال رجل لعبد الله بن عمرو بن العاص أشكو الفقر والحاجة فقال له هذه العين بكم تبيعها؟ هذه اليد هذه الأذن هذا اللسان ... القدم، فكلما قال له مبلغا من المال قال له أنت إذن من الأغنياء!

الواحد فينا قد يبصر الأموال العريضة عند بعض الناس ولا يبصر النعم الغزيرة التي لا قيمة تساويها أبدا، التي أنعم الله علينا بها صدق ربي حينما قال : (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) [إبراهيم/34] فسبحان الله يقول :

احمدوا الله على نعمة العافية أن تذهب للحمام وحدك هذه نعمة لا تقدر بمال.

أيضا من أقواله : تأكدت من نعمة تنفس الهواء ـ في آخر أيامه كان على جهاز التنفس الصناعي ـ فهو يقول أن تتنفس دون عناء وتعب هذه نعمة قل من يلتفت إليها !!!

لا إله إلا الله والله شيء عجيب أن الإنسان فينا يتنفس نفس داخل ونفس خارج ولا يجد أي مشكلة في هذا التنفس ...فهو يقول أدركوا نعمة التنفس وقيمتها أن تتنفس بدون ضيق ولا أجهزة.

أيضا يقول: أن السرطان نعمة كبيرة من الله لأنه أيقظني قبل أن أموت على ما أنا عليه ، لو مت على ما أنا عليه لقابلت الله عز وجل صفرا ، لا أملك شيئا ليس لي عمل ألقى به الله، فمن رحمة الله تعالى أن فزت بهذا الابتلاء.

اسمعوا يا إخواني يرى الابتلاء نعمة لأنه قربه من الله وعرى له الدنيا وأظهرها

على حقيقتها ـ(إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) – [الكهف/7] زينة لها أقمنا حفلا وقمنا بعمل بعض الأنوار والزينة والديكور ، وبعد انتهاء الحفل تنزع كل الأنوار والزينات ، وقضي الأمر ، فكل ما في الدنيا زينة لها، فسبحان الله يقول :

إن الله أكرمني بهذا الابتلاء حتى استيقظ وانتبه في الوقت الذي أبصر فيه بعض الناس يموتون في الحانات وهم سكارى وبعضهم يموت بجرعة مخدرات زائدة سبحان الله العظيم.

آخر وصية له رحمة الله عليه قال :

أوصيكم بأن يكون لكل واحد منكم هدف وأول الأهداف أن تسعى لإرضاء ربك فنحن لن نعمر في الدنيا طويلا.

ما في أحد سيبقى أبد الدهر :

كل ابن انثى وإن طالت سلامته يوما على الة حدباء محمول

فإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم انك بعدها محمول

سبحان الله العظيم فهو يوصي إخوانه في آخر كلماته أن يكون لك هدف تسعى إليه وهو: إرضاء الله ، أن تبرمج حياتك كلها لإرضاء الله سبحانه وتعالى ، أن تلقى الله عز وجل وأنت فرح سعيد بهذا الأمر .

سأله المحاور ما شعورك تجاه الحديث "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه " ؟

قال: أنه من شدة الألم أخذ جرعة مسكنة من بعض الأدوية لكنها كانت جرعة زائدة وغبت عن الوعي ورأيت أشياء كثيرة وددت ألا أفيق منها .

ـ الله أعلم ماذا رأى ربما رأى ما يبشره أو شيئا طيبا ـ قال : فجعلت أرفع أصبعي إلى السماء وأقول : خذني إليك يارب خذني إليك يارب فلما أفقت في اليوم التالي حزنت لأن الله تعالى لم يشأ أن يقبضني إليه في هذه اللحظات.

والفيديوهات موجودة ومؤثرة جدا وفيها عظة وعبرة لمن أراد أن يستمع .

لكن عندي بعض اللمحات الإيمانية التي أحب أن نتوقف عندها.

أول لمحة : أن يدرك الإنسان مدى ضعفه أمام قدرة الله عز وجل:

سبحان الله الإنسان فينا ضعيف بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، ضعيف يؤذيه انحباس النفس، أو أن يمنع عن الطعام ، أو شربة ماء ، أو يمنع أن ينام ويستريح على الأرض ، يؤذيه كل شيء ، فما أضعف الأنسان ، ومع هذا فالله تعالى يقول : ـ(يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم)ـ [الإنفطار/6] ما الذي جرأك على الله ؟ ما الذي جعلك بهذا الشكل ؟

من يتجبر ومن يظلم ومن يسفك الدماء ويتعالى في الأرض وفي آخر أمره ستطويه الأرض كما طوت غيره ، وسيدفن في الثرى واللحد كما دفن غيره ،

لكن من يعقل ؟ ومن يفهم ؟ ومن يدرك ؟ سبحان الله العظيم.

الأمر الثاني:نعمة الألم :

الإخوة المرضى نسأل الله الشفاء لكل مريض، أن يدرك الإنسان نعمة الألم ، نعم الألم نعمة من الله، لأنه ينبهك هذا الألم في اليد في البطن .... الخ ينبهك ، لتذهب للطبيب لترى ماذا بك ؟ وتأخذ الدواء .

فالألم إشارة رحمة من الله عز وجل لتتداوى ، لكن تخيلوا أن هذا الشاب استبد به السرطان .... لماذا يقولون عن السرطان مرض خبيث؟

لأنه غالبا لا تظهر آثاره على المريض إلا بعد أن يتمكن منه، إلا في بعض الحالات يأذن الله فينتبه المريض للأمر في بداياته فيعالج السرطان ويشفى بفضل الله سبحانه وتعالى، لكن حينما يختفي الألم وينعدم نهائيا فلا يظهر إلا بعد أن يتمكن هذا المرض من جسم الإنسان يدرك الإنسان نعمة الألم من الله سبحانه وتعالى.

الأمر الثالث:إدراك حقارة الدنيا :

أن الإنسان فينا يدرك مدى حقارة الدنيا في شخص رأى الموت بعينيه، الابتلاء بالسرطان ليس هو الابتلاء الأصعب بل الأصعب هو إخبار الأطباء له أنه لن يعيش أكثر من سبعة أشهر، وشاء الله أن تمتد إلى ثلاث سنوات ، بعد اكتشاف الإصابة بالمرض، لكن تخيلوا حالة الإنسان إذا علم متى سيموت ؟ وكيف يرى

وجه الدنيا وقيمتها على حقيقتها؟ من رحمة الله بنا أن أخفى علينا ميعاد الموت ، هذه نعمة والله ، لو أن كل واحد فينا له تاريخ ميلاد ويعلم تاريخ الوفاة ما طابت لنا حياة ، والله ما طابت لنا حياة .

كما قالوا : ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل ، نعمة الأمل في الحياة نعمة عظيمة من الله ، أنت الآن جالس معنا الآن وعندك خطط لعشرات السنين، وتجد الشاب في العشرينيات والثلاثينيات يخطط لعمر مديد لزواج وأسرة وبيت و....الخ ، وهذا فضل من الله نعمة الأمل، أن تمضي في هذه الدنيا وتؤسس وتزرع ليكون بعد ذلك الحصاد عند الله عز وجل ، هذه نعمة ،أن يكون عندك أمل في الحياة تسعى بمرضاة الله وتسعى إلى كل ما يقربك من الله والدار الآخرة .

الأمر الرابع نعمة العافية :

من الدروس إدراك قيمة العافية ونعمة العافية ، أغلى نعمة الناس لا يقدرونها بثمن نعمة العافية، البعض يظن أن العافية مرتبطة بالشباب، كلا العافية نعمة من الله تصيب من تشاء من خلقه، والأخ علي سنه 33 سنة، فالمرض لا يعرف صغيرا ولا كبيرا.

الحمد لله أنت تبصر بعينك وتسمع بأذنيك وتمشي على قدميك ، فماذا عمن فقد هذه النعم؟ تذكر عظم نعمة الله عليك وأنت لا تحتاج إلى من يعينك ويساعدك.

قصة أحد الأغنياء بمصر انقلبت سيارته:

أذكر لكم قصة أحد الأغنياء بمصر انقلبت سيارته وماتت أسرته ، ولم يتبق إلا هو والسائق الذي كان معه ، ويشاء الله أن يصاب بعد الحادث بشلل رباعي ، والسائق أصيب ببعض الكدمات .

ومن وفاء السائق أنه استمر في خدمة هذا الرجل ، ورأى انه من قلة الوفاء ان يتركه في محنته بعد ان ماتت زوجته واولاده ، هذا الرجل يتحدث قائلا : لم أجد احدا أعظم علي نعمة بعد هذا الحادث من هذا الرجل الوفي الذي آثر أن يبقى معي رغم ما بي من إصابة وتعب لأني إذا أردت أن انقلب من جنب إلى جنب احتاج إلى من يقلبني ، إذا أردت أن آكل ، أو أردت أن أقضي حاجتي .... استعين به .

يقول : ويستبد بي الألم في الليل حينما أريد أن أحك جلدي (يهرش) فلا استطيع ان أوقظه ليهرش لي في المكان الذي أريده فأقول : لو أن هناك من يأخذ مالي كله وأستطيع أن أحرك يدي بهذه الحركة فقط لفعلت !!!

تخيلوا يا إخواني حك الجلد نعمة فقدها هذا الإنسان الذي أصيب بالشلل سبحان الله العظيم!!!

فنحن دائما ما نقدر الأشياء بالماديات هذا يملك سيارة كذا ، وعنده بيت كذا ، ويملك في البنك ودخله الشهري كذا ....الخ ، كل هذا لا يساوي شيئا بجانب

نعمة العافية ، أو شكر نعمة واحدة ينعم الله عليك بها ، ويتم الأمر عليك بدوامها .

اللهم إنا نسألك العافية ودوام العافية وتمام العافية والشكر على العافية آمين

الأمر الخامس : ثرواته كلها لا تساوي نعل حمام :

آخر درس رؤية الأخ علي لسياراته وثرواته أنها لا تساوي نعل حمام ، هذه رؤية الأنبياء والصالحين للدنيا ، وهي مجردة من زينتها ، أنها دار زوال لا شيء بالنسبة لما أعده الله لعباده المتقين ، أن يرى ابتسامة طفل فقير أدخل عليه السعادة والسرور أفضل من جميع الدنيا وما فيها .

هذه هي الدنيا على حقيقتها ،انا وأنت الآن على قيد الحياة لن يمر بنا عمر طويل إلا وسنترك الدنيا ، هذه سنة الله "كل نفس ذائقة الموت "، لكن تذكر بسمة أسعدت بها أبناءك ، سرور تدخله على قلب زوجتك ، فرحة اسعدت به والديك فنلت دعوة من أحد الوالدين بالفوز بمرضاة الله ،أن تدخل الفرح على قلب مكسور او محزون ، أن تدخل السعادة على قلب مريض ، أو محتاج ، أو اسرة فقيرة ، والله هذه كلها هي التي تبقى عند الله .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: " أعظم الأعمال سرور تدخله على قلب مسلم " هنالك من يتفنن في إتعاس الناس حوله ، من يتفنن في الانتقام ممن حوله في إدخال الحزن عليهم ـ سبحان الله العظيم – ولكن غدا سترحل ، لن تخلد في

الدنيا ، ويبقى الأثر ، يبقى الاثر البسمة التي أسعدت بها إنسان ، جبر الخواطر ،هذه عند الله من أعظم العبادات .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم (خير الناس أنفعهم للناس) لن تكون سعيدا في هذه الدنيا وانت سبب في شقاء وتعب من حولك أو إدخال الحزن عليهم ، والدنيا قصيرة لا تستحق ما نحن فيه من تعب وحزن وانتقام ....الخ ، فتضيق الصدور إذا أصاب صاحبك خيرا حزنت وأن أصابه شر تقول : لو كان ما أصابه أكثر وأكثر !!!

ماذا فعلت هذه الأنفس المريضة غير انها جبلت المرض لنفسها ولمن حولها ؟ وكما قال بعض السلف : جعل الله من نعيم الجنة في الدنيا سلامة الصدر قال تعالى : (ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار) [الأعراف/43] أن تكون سليم الصدر خيّرا تسعد من حولك هذه جزء من نعيم اهل الجنة .

استشعروها يا إخواني أقولها بصدق : كلما أسعدت من حولك أسعدك الله ، فالجزاء من جنس العمل .

وهناك دراسات حديثة تؤكد هذا الكلام ، أن تزور المرضى ، والأيتام ، والفقراء ، فلما ترسم على وجوههم السعادة ، هذا علاج للاكتئاب والقلق والتوتر ـ سبحان الله العظيم – وهذا ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لما شكا إليه الرجل قسوة قلبه " قال : ادن من المسكين وامسح رأس اليتيم "

في الختام أقول :

الأخ علي توفي منذ أيام قليلة في 30 مايو 2018 واسترد الله وديعته، فكان يومًا حزينًا على المسلمين في كل من أستراليا وإفريقيا فقد فاضت روح "علي " إلى بارئها رحل في جنازة مهيبة تحيطه مئات الآلاف من الدعوات المباركة التي سبقته إلى السماء ..

رحل علي وقبل رحيله عرفنا حقيقة الدنيا (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) .

نسألكم الدعاء له بالرحمة والمغفرة، وحسبه أنه تاجر مع الله .

ومن علامات القبول عند الله ان يموت في استراليا ويترحم عليه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ،

ونتكلم عنه هنا في كندا وأنا أسمع كلماته الأخيرة تذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله قالوا كيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال : " يوفقه لعمل صالح قبل الموت "

فاللهم وفقنا لما تحبه و ترضاه وتوفنا وأنت راض عنا يا كريم ، ورحم الله أخانا علي بنات رحمة واسعة وتقبله في الصالحين وأسعد الله في آخرته كما أسعد الكثيرين في الدنيا ..... اللهم آمين .